كيف نزلت كلمة الملك عبدالله على قلوب محبي مصر؟

أ. د. محمد جابر الأنصاري *
www.dr-mohamed-alansari.com

تصديت لهذه المشكلة من قبل في مقالة بعنوان "وهذه المواجهة كيف ستُحسم؟". وبغض النظر عن المناخ الدولي المحاط بالدول العربية، فإن مجتمعات هذه الدول تعاني احتمال حدوث هذه المواجهة، حسب الوضع الداخلي لكل بلد، "وإن حدث تغيير لها أم لم يحدث، فإنها فرصة لاحتمالات حدوث تلك المواجهة بين المعسكرين"؛ دعاة المجتمع المدني من ناحية ودعاة المجتمع الديني من ناحية أخرى، كما هو حادث في مصر الآن.

إلى ذلك، فإن "التجربة، لسنة واحدة أقنعت المصريين بعزل الحاكمين؛ لذلك خرج ثلاثون مليوناً من المؤيدين لقرار العزل، ورغم أن السلطات التي استلمت بعد قرار العزل أبدت قدراً هائلاً من ضبط النفس والمراعاة للأعراف المتبعة في عالمنا مع المعارضين، فإن هذه المعارضة بلغت شأواً بعيداً ولم تقف عند حد. وكانت "القيادات" في تلك المعارضة تفضل أن يتدخل الأجانب ونتفاهم من خلالهم مع العناصر الوطنية الحاكمة، على أن تتفاوض مباشرة مع تلك العناصر. عندها سمحت العناصر الوطنية الحاكمة للتدخل الأجنبي حقناً للدماء، وهنا ركض المندوبون الأوروبيون والمندوبون الأميركيون إلى القاهرة ولم يضيعوا وقتاً. واتضح أن قيادات المعارضة تريد أن تفرض شروطها وأن ينال أولئك المندوبون الأجانب شرف نجاح وساطتهم، فلم تبلغهم العناصر الوطنية ما يريدون، وعدنا إلى نقطة الصفر، ننتظر الفرج! عندها، وكان اليوم يوم جمعة، جاء إعلان تلفزيوني أن الملك عبدالله بن عبدالعزيز سيدلي بكلمة حول أحداث مصر، والعادة ألا يتدخل السعوديون في شؤون غيرهم، فماذا نراهم قائلين؟ وكانت ثمة اتصالات للاستفسار عما سيتناوله الملك عبدالله. وأخيراً، جاءت كلمة الملك، فإذا بها برداً وسلاماً على قلوب محبي مصر، لقد بلغ السيل الزبى، وكان لابد من رد عربي على ذلك التدخل الأجنبي، وكان واضحاً أن من يتدخل في شؤون مصر يوقد الفتنة ويشجع الإرهاب.

ومع كلمة الملك عبدالله جاء موقف وتحرك سعودي داعم على الصعيد الدولي، تمثل بزيارة الأمير سعود الفيصل إلى باريس، وكانت تصريحاته أمام فرانسوا هولاند، الرئيس الفرنسي في قصر الإليزيه الرسمي، تلقي ضوءاً جديداً على الوضع المصري.

فقد قال في تصريحه، إن كلمة الملك عبدالله بشأن دعم مصر، تمثل وقفة حق وعز، وإن السعودية والدول العربية الأخرى لن تترك مصر لوحدها، وسيكون هناك موقف عربي واحد غير قابل للتراجع والتفكك. وقد التقط الفريق أول عبدالفتاح السيسي كلمة الأمير سعود الفيصل، فقال لضباط الجيش المصري: "اسمحوا لي أن أوجّه كلمة شكر إلى الملك عبدالله والمملكة العربية السعودية، وكذلك إلى دولة الإمارات العربية المتحدة ودولة الكويت الشقيقة والمملكة الأردنية الهاشمية ومملكة البحرين"... وقد صفق الضباط المصريون طويلاً لهذه الدول. وأضاف الفريق أول السيسي في كلمته أن الملك عبدالله قد تحرك بالنسبة إلى مصر مثلما تحركت القيادة السعودية عام 1973م، وهو تحرك تمثل بقرار الملك فيصل قطع النفط عن الدول المؤيدة لإسرائيل. ونتيجة لهذا التفاعل بين القيادتين المصرية والسعودية فقد تبلور مفهوم كلمة الملك عبدالله في دعم مصر فتمثل بالمبادئ التالية:

1- الدعم السعودي والعربي لمصر.
2- التحرك السعودي والعربي على الصعيد الدولي لدعم مصر.
3- تبلور مفهوم "عربي" خالص لكلمة الملك عبدالله ومغزى الموقف السعودي.
4- ما أشار إليه الأمير سعود الفيصل في تصريحه بالإليزيه بباريس وهو ما غاب عن أكثر المناقشات العربية المؤيدة لمصر- كيف نصف ما حدث في مصر بالانقلاب وقد تولى رئاستها مدني، هو رئيس المحكمة الدستورية.
5- التمايز عن الموقفين التركي والإيراني من مصر، فقد أيدتا "الإخوان" وأدانتا عزل مرسي، وهي رغبة في التمايز عن دعاة الدولة الدينية.
6- الاستقلال عن الغرب الأوروبي والأميركي الذي أراد التدخل في الشأن المصري بتهديده بقطع المساعدات عن مصر، وقال السعوديون إن السعودية ستدعم مصر ومعها كل العرب... إلخ، وهو ما يذكرنا بالموقف السعودي المشرف من حرب السويس عندما أممت مصر قناتها واستعدت للعدوان الثلاثي... وكان الأمراء السعوديون قد لبسوا اللباس العسكري إشارة إلى انضمامهم للجيش المصري المحارب.

هذه مجموعة من المبادئ والقيم العربية النبيلة التي تضمنتها كلمة الملك عبدالله بن عبدالعزيز في تأييد مصر وتأكيد الدعم السعودي والعربي لها، والرد على التدخلات الاستعمارية الغربية، وكذلك الرد على الموقفين التركي والإيراني اللذين يريدانها دولة دينية.

إن مبادرة الملك عبدالله بن عبدالعزيز إلى هذا التحرك، تؤكد عروبته واستقلاليته وسيذكر التاريخ، وستذكر الأجيال له هذا التحرك، والله من وراء القصد.

* أكاديمي ومفكر من البحرين

الصحة الذهنية للجميع

أنطوني جورم *

PROJECT SYNDICATE
AN ASSOCIATION OF NEWSPAPERS AROUND THE WORLD

في إحدى أمسيات ربيع عام 1997، عندما كنت باحثاً في مجال الصحة الذهنية في الجامعة الوطنية الأسترالية في كانبيرا، كنت أتناقش مع زوجتي بيتي كيتشنر، الممرضة المعتمدة التي كانت تقوم بتدريس الإسعافات الأولية لمنظمة الصليب الأحمر في أوقات فراغها، حول عدم كفاية التدريب على الإسعافات الأولية التقليدية. فمثل هذه الدورات تهمل عادة حالات الطوارئ المتعلقة بالصحة الذهنية، وهذا من شأنه أن يجعل العاملين في هذا المجال غير مجهزين بالشكل اللائق لمساعدة أشخاص يعانون أفكاراً انتحارية، أو نوبات فزع، أو إجهاد ما بعد الصدمة، أو التأثيرات المترتبة على إساءة استخدام الكحول أو المخدرات، أو نقص القدرة على إدراك الواقع.

وقد تعرفت بيتي بشكل شخصي على العواقب المحتملة التي قد تترتب على الافتقار إلى هذه المعارف، فعندما كان عمرها خمسة عشر عاماً، أصيبت بنوبة من الاكتئاب الحاد الذي بلغ ذروته بمحاولة الانتحار، لكن أسرتها ومعلميها فشلوا في التعرف على المشكلة، لذا فإنها لم تتلق أي دعم أو مساعدة مهنية، وكان هذا الافتقار إلى العلاج المبكر سبباً في إضعاف تعافيها، واستمرت في المعاناة من نوبات الاكتئاب طيلة حياتها.

ومن أجل المساعدة في ضمان عدم اضطرار المزيد من الناس للمعاناة وحدهم كما حدث لزوجتي بيتي فقد صممنا على إنشاء دورة تدريبية في الإسعافات الأولية في مجال الصحة الذهنية في مجتمعنا المحلي. وبعد ثلاثة أعوام، عندما خفضت بيتي من ساعات عملها المدفوع من أجل تطوير تدريب المساعدات الأولية للصحة الذهنية، أصبح بوسعنا أخيراً إطلاق الدورة.

وسرعان ما أصبحت فوائد هذه المبادرة واضحة، حيث أظهرت دراسات التقييم أن المشاركين أصبحوا أكثر تقبلاً للأهمية الصحية التي ينطوي عليها المرض الذهني، وأكثر ثقة بقدرتهم على مساعدة الآخرين، وأكثر تحفيزاً لتوظيف معارفهم بعد إتمام الدورة. وقد ساعدت هذه النتائج الإيجابية في دفع توسع الدورة، فبحلول عام 2005، كانت الدورة فاعلة في أنحاء أستراليا وأسكتلندا وهونغ كونغ المختلفة، ثم انتشرت منذ ذلك الوقت إلى أكثر من عشرين دولة أخرى. وهناك أكثر من 200 ألف شخص في أستراليا وحدها- أكثر من 1% من السكان- تلقوا هذا التدريب الآن.

وهذا النمو السريع ليس مستغرباً، وذلك نظراً لانتشار مشاكل الصحة العقلية والذهنية في أنحاء العالم المختلفة. ففي أستراليا، هناك شخص واحد تقريباً من كل خمسة بالغين يعاني مشكلة خاصة بالصحة العقلية يمكن تشخيصها في كل عام، ولكن العديد من هؤلاء الأشخاص لا يتلقون أي مساعدة مهنية. والإحصاءات مماثلة في دول أخرى متقدمة، وهذا يعني أن كل شخص إما أن يكون متأثراً شخصياً بمشكلة صحة ذهنية وإما لديه قريب أو أحد معارفه يعاني مثل هذه المشاكل. والواقع أن أغلب الناس على اتصال بشخص لديه ميول انتحارية، سواء كانوا يدركون هذا أو لا يدركونه.

وتظهر البحوث أن حصول المريض على مساعدة مهنية أو دعم حصوله عليها يتأثر بشكل كبير بتشجيع المقربين منهم ومواقفهم. فالأشخاص الذين يتمتعون بشبكات دعم قوية تكون فرص تعافيهم أفضل كثيراً من أولئك الذين لا تكتشف مشاكلهم أو يتم تجاهلها أو التهوين منها. ومن هنا فإن ضمان الوعي والقبول داخل المجتمعات، وفي الوقت نفسه ضمان قدرة الناس على التعرف على مشاكل الصحة الذهنية المحتملة لدى الآخرين وتقديم المساعدة، يشكل أهمية بالغة.

ويصبح هذا الاحتياج أكثر إلحاحاً بالنسبة إلى أولئك الذين هم على اتصال منتظم بالشباب، مثل الآباء والمعلمين والعاملين في مجال الأنشطة الشبابية والمدربين الرياضيين. إن مشاكل الصحة الذهنية تميل إلى الظهور في مرحلة مبكرة من الحياة، فتحدث أولى النوبات خلال فترة المراهقة أو في أوائل مرحلة البلوغ- وهي مرحلة حرجة من النمو والتطور، عندما يكمل الناس تعليمهم، ويلتحقون بقوة العمل، ويبنون علاقات أساسية، ويكونون عاداتهم الصحية. وفي غياب نظام دعم قوي فإن مشاكل الصحة الذهنية قد تعطل هذه التطورات، فتلحق الضرر بآفاق المستقبل لأولئك الذين تبتليهم.

ورغم أن الانتشار السريع لبرنامج الإسعافات الأولية للصحة الذهنية ساعد في تحسين الموقف في العديد من المجتمعات، فإن الطريق لا يزال طويلاً. ففي الأمد القريب، يتعين على كل الدول المتقدمة أن تسعى إلى تحقيق معدلات مشاركة لا تقل عن 1% في دورات الإسعافات الأولية للصحة الذهنية، كما فعلت أستراليا.

وفي الأمد الأبعد، ينبغي للبلدان أن تسعى إلى مضاهاة معدلات المشاركة في دورات الإسعافات الأولية التقليدية، ففي الأعوام الثلاثة الأخيرة، أكمل نحو 11% من سكان أستراليا مثل هذه الدورة، ويرجع هذا جزئياً إلى المتطلبات التي تفرض على العاملين في وظائف معينة، مثل وظائف رعاية الطفولة، أن يحملوا شهادة في الإسعافات الأولية. والواقع أن إلزام العاملين في مهن معينة- بمن في ذلك معلمو المدارس الثانوية، والممرضات، وضباط الشرطة- بالحصول على شهادة في الإسعافات الأولية في مجال الصحة الذهنية من شأنه أن يعزز من المشاركة إلى حد كبير، وبالتالي يعزز من الدعم المقدم لأولئك الذين يعانون مشاكل الصحة الذهنية.

وتتزايد أهمية هذه الشهادات في بلدان العالم النامي، نظراً لمحدودية المتاح من العاملين المهنيين في مجال الصحة الذهنية. وتظهر الجهود التجريبية في المناطق الريفية في الهند أن نهج الإسعافات الأولية في مجال الصحة الذهنية يمكن تكييفه بنجاح مع احتياجات المجتمعات ذات الموارد المحدودة.

إن حجم المشكلة، في البلدان المتقدمة والنامية على حد سواء، أكبر من أن يسمح بترك العاملين المهنيين في مجال الصحة الذهنية يتصدون لها وحدهم. بل لابد من تمكين كل فرد في المجتمع من حماية وتحسين صحته الذهنية، وصحة الذين من حوله.

* الرئيس الأسبق للجمعية الأسترالية للأبحاث النفسية، ويتولى حالياً رئاسة مجموعة الصحة العقلية للسكان بكلية ملبورن للصحة السكانية في جامعة ملبورن.
«بروجيكت سنديكيت» بالاتفاق مع «الجريدة»

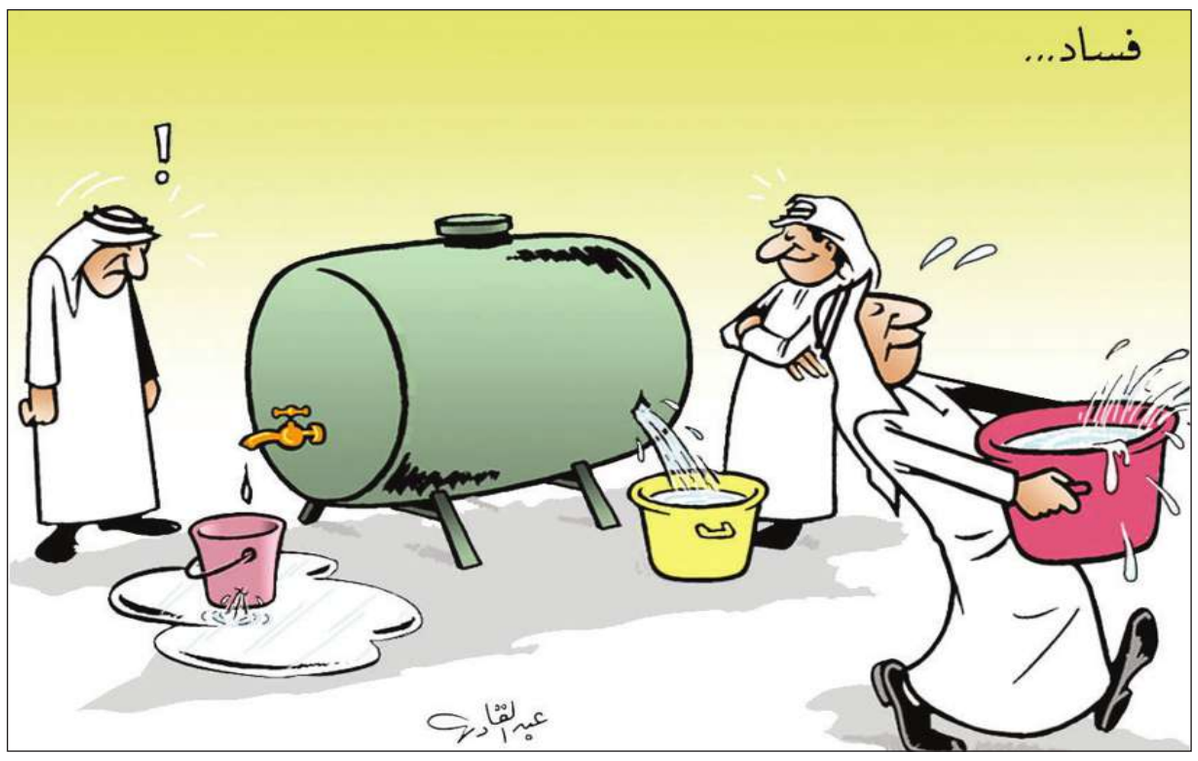

الأغلبية الصامتة: ملائكة «الإخوان» وملائكة العسكر

إبراهيم المليفي
mulaifi70@gmail.com

حتى لا يغيب العقل الذي هو أهم من «الإخوان» وحربهم لاستعادة «الكرسي» الذي زعموا أول الأمر أنهم زاهدون فيه، فإن «الإخوان» في مصر لا يمكن اقتلاعهم بالحديد والنار، ولو كان ذلك العلاج «السهل» فعالاً لانتهوا أيام الملكية، ولو كان القتل ينفع لنفع في منع «استيلاد القطبيين» إلى اليوم بعد إعدام «سيد قطب» قبل ما يقارب الخمسة عقود.

هكذا نحن وسوف نبقى، نغضب بسرعة ونحكم بسرعة، نحطم كل ما هو أمامنا بسرعة ثم سرعان ما ننسى ونقترف نفس الخطايا التي ثرنا من أجلها دون أن نخجل أو نعتذر من كل الذين أصابتهم سهام ألسنتنا بسبب تهورنا وضيق صدورنا.

في أحداث مصر رفع "إخوان" الكويت مستويات نشاطهم إلى الحد الأقصى، ودخل معهم وضدهم كل من وجد في الشأن المصري "نافذة" جديدة يواصل من خلالها مشاحناته "الشخصية" على الساحة المحلية، وعليه فقد تم "تكويت" مصر في انتخابات البرلمان الأخيرة وكل مخلفات التطاحن الذي وقع في السنوات الأخيرة.

في مثل هذا النمط من التفكير، لا مكان لرأي يتضمن ولو همسات من الرأي الآخر، "الإخوان" إما أنهم شياطين بالمطلق وإما "العسكر" ملائكة بالضرورة، والعكس صحيح، ممنوع أن أقول ما أراه صحيحاً في مساحتي، ولكن غيري، خصوصاً "إخوان" الكويت، من حقه أن يقول ويزيد ويصنف ويحدد ويأمر، هي تماماً نفس العقلية التي أوصلت المكونات الرئيسة لمعارضة الصوت الواحد لما وصلت إليه من تفكك وانحسار في الشعبية لأن الاختلاف والتنوع مرفوض لديهم.

ولكن منذ متى ونحن نخشى التفكير الإقصائي أو "الإخوان" أنفسهم؟ لقد عرفنا معنى "التكفير" منهم لا من غيرهم قبل عقدين من الزمن، والبحث عن مصداقية أو إنصاف من طرفهم دليل على قلة في خبرة التعامل معهم، فهم من اخترعوا "الانتقائية"، وهم من علموا الأفاعي تبديل جلودها.

"الإخوان" اليوم وبالأمس وغداً، سيلعنون "الليبراليين" دوماً وأبداً، وسيضعونهم على اختلافهم وتفرقهم في خانة واحدة، وسيحاكمون ليبراليي الكويت وكل صاحب صوت تقدمي متنور بمن فيهم د. شفيق الغبرا وحسن العيسى على مواقف الليبراليين في مصر لأن الطبع "غلاب".

وحتى لا يغيب العقل الذي هو أهم من "الإخوان" وحربهم لاستعادة "الكرسي" الذي زعموا أول الأمر أنهم زاهدون فيه، فإن "الإخوان" في مصر لا يمكن اقتلاعهم بالحديد والنار، ولو كان ذلك العلاج "السهل" فعالاً لانتهوا أيام الملكية، ولو كان القتل ينفع لنفع في منع "استيلاد القطبيين" إلى اليوم بعد إعدام "سيد قطب" قبل ما يقارب الخمسة عقود، ولو كانت السجون تكسر لكسرت سجون مبارك شوكة "الإخوان" إلى الأبد، "الإخوان" يموتون فقط بالعقل، والعقل العربي لا يزال ما بين غائب أو مغيب.

لقد كان بالإمكان تجفيف مواقع التوتر، فلا جديد يدخل إليها والخارج منها "في أمان الله"، ولكن انجرفت الأمور إلى طريق الدم والمجازر التي لا يمكن مباركتها أو الصمت عنها، وبدلاً من استثمار حالة السخط الشعبي ضد "الإخوان" فتحت مسارح النحيب لهم كي يلعبوا دورهم التاريخي كشهداء ومظلومين.

لقد برع "الإخوان" في "لعق" جراحهم، وأتقنوا فن العودة من جديد طوال حياتهم، وأي فاشية- ليس بالضرورة في مصر- تبحث عن السند الجماهيري على حساب الديمقراطية لن تجد أفضل منهم للقيام بهذا الدور، وستمر الأيام وتذوي الهتافات وتتبدل الوجوه وسترون كيف سيعود "الإخوان" إلى مواقع التأثير والنفوذ.

الفقرة الأخيرة: لبعض الفاشيست... لا تفرحوا كثيراً بضرب "الإخوان" فما سيخرج من مصر سيدخل لديكم.

لا خروج من أفغانستان

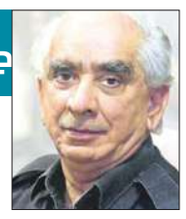

جاسوانت سينغ *

PROJECT SYNDICATE
AN ASSOCIATION OF NEWSPAPERS AROUND THE WORLD

على الرغم من الاضطرابات المعتادة والغزوات المتكررة، فإن أفغانستان ظلت دون تغيير تقريباً لقرون من الزمان، قبل ما يقرب من 120 عاماً، وصف وينستون تشرشل عُقم الحرب وعبثها في المنطقة بأنها "مدمرة مالياً، ووضيعة أخلاقياً، ومسألة مفتوحة عسكرياً، وخطأ أحمق سياسياً". لا شك أن تقييم تشرشل يبدو صادقاً في نظر العديد من المسؤولين في الولايات المتحدة ومنظمة حلف شمال الأطلسي (الناتو) اليوم، فيما يحاولون تنسيق الخروج من أطول التزام قتالي في الخارج في تاريخ الولايات المتحدة.

ورغم أن الحرب في أفغانستان ربما أسفرت عن عدد أقل من الخسائر في الأرواح والإصابات بين الأميركيين مقارنة بالحروب السابقة التي خاضتها الولايات المتحدة، فإن التكاليف الإنسانية تظل كبيرة للغاية، خصوصاً إذا وضعنا في الحسبان الوفيات والإصابات بين الأفغان. وعلاوة على ذلك فقد أهدرت المليارات من الدولارات، في حين بدأت التأثيرات الإيجابية القليلة التي ترتبت على التدخل العسكري الذي قادته الولايات المتحدة تتلاشى بالفعل، ولا تزال العواقب السلبية الكثيرة مستمرة في زعزعة الاستقرار في المنطقة.

الآن، يحاول الرئيس الأميركي باراك أوباما التفاوض على اتفاق جديد مع الحكومة الأفغانية في ما يتصل بوضع القوات من أجل تحديد عدد القوات الأميركية التي ستبقى في أفغانستان وشروط انتشارها. ولكن الحقيقة هي أن الولايات المتحدة تحاول الفرار من الصراع الذي خسرته، تماماً كما فعلت في فيتنام قبل نحو أربعين عاماً، تاركة أهل البلاد المنكوبين يواجهون قدرهم بأنفسهم.

وبدلاً من الاعتراف بالهزيمة، فإن المسؤولين الأميركيين لم يتورعوا عن اللجوء إلى خطاب الإلهاء، فعلى سبيل المثال، في حديث ألقاه أخيراً في نيودلهي، قال وزير الخارجية الأميركي جون كيري إن المفتاح إلى تحقيق الاستقرار في أفغانستان يتلخص في بناء "طريق الحرير الجديد" لربطها بآسيا الوسطى، وهي بدعة جديدة هازئة تهدف بوضوح إلى حجب فشل أميركا خلف أوهام اقتصادية مستقبلية. والواقع أن إصرار كيري على أن الولايات المتحدة لن تنسحب، ولكنها "تخفف" من وجودها هناك، يمثل محاولة مكشوفة أخرى للتلاعب.

من المؤكد أن وجود أميركا في أفغانستان كان سبباً في توليد روابط إقليمية مهمة؛ ولكن من المؤسف أنها ليست من ذلك النوع الذي يدعم التجديد الاقتصادي. فقد كان العقد الماضي من الحرب والفوضى وانعدام الشرعية سبباً في تسهيل انتشار "حركة طالبان" عبر باكستان وأفغانستان، الأمر الذي جعل "طالبان" تعتبر نفسها قوة لا تكل ولا تمل، وهو الاعتقاد الذي قد يدفع قادتها إلى تقويض أي تقدم نحو الاستقرار.

والواقع أن ثقة حركة "طالبان" في نفسها دفعتها بالفعل إلى تعطيل خطط محادثات السلام مع الحكومة الأفغانية، فبعد الموافقة على إنشاء مكتب في قطر لاستضافة المحادثات، افتتحت "طالبان" في يونيو شبه سفارة لما أسمته "إمارة أفغانستان الإسلامية". وكان رد الحكومة الأفغانية بتعليق المحادثات مع "طالبان"، فضلاً عن مفاوضات وضع القوات مع الولايات المتحدة.

وتوصي باكستان بالسعي إلى إيجاد مكان بديل للمفاوضات مع "طالبان"، بدلاً من التخلي عن جهود المصالحة بالكامل، وهذا يبشر بالخير باستئناف المحادثات، نظراً للدور الرائد الذي لعبته باكستان في تسهيل صعود "طالبان" وكونها الآن موئلاً لمجلس "طالبان" الأفغاني الحاكم، بما في ذلك زعيمها الملا عمر، إلى جانب "طالبان" الباكستانية.

ويزعم فيفيك كاتجو، سفير الهند السابق إلى أفغانستان، أنه على ثقة من أن غضب الرئيس الأفغاني حامد كرزاي من مناورة "طالبان" في قطر لن يؤدي إلى تأخير المفاوضات لمدة طويلة. (الواقع أن بعض التقارير تحدثت عن لقاء تم بالفعل بين كرزاي ومندوبي "طالبان" في محادثات سرية تهدف إلى إعادة تفعيل مبادرة السلام المتوقفة).

ويعزو كاتجو استئناف المحادثات الحتمي إلى "الإحباط الاستراتيجي" في الولايات المتحدة، والذي بات حاداً إلى الحد الذي يجعل من غير المرجح حتى أن تفي الولايات المتحدة بتعهد كيري بإلغاء المحادثات إذا ثبت وجود أي صلة بتنظيم "القاعدة". فقد قبلت الولايات المتحدة في نهاية المطاف بالفعل التأكيدات غير الواقعية من جانب "طالبان" بأنها لن تستخدم أفغانستان كقاعدة "تثير المتاعب" من أراضيها- بشن هجمات إرهابية- في أماكن أخرى.

ومن حسن طالع الولايات المتحدة، فإن "طالبان" لم تعد مجموعة متجانسة، ذلك أن عشرة أعوام من الركض والاختباء من المراقبة الدقيقة وهجمات الطائرات بدون طيار الموجهة كانت سبباً في انقسام الحركة، ومع هذا، فكما لاحظ الخبير الأمني ساجان غوهل فإن "شباب طالبان المشردين والمحبطين اليوم وجدوا العزاء والهدف في تفسير شديد التطرف للإسلام". ولعل "طالبان" لم تعد قوة موحدة، ولكن من الواضح أنها لا تزال قوة خطيرة.

وقد وضعت كل هذه التطورات الهند في موقف صعب، ففي أفغانستان كانت المؤسسة العسكرية الأميركية معتمدة بشكل تكتيكي على باكستان، حتى إن الولايات المتحدة شجعت الهند في عدة مناسبات على الحد من مشاريع التنمية، مثل إعادة تشييد البنية الأساسية في أفغانستان. وبعد الانسحاب العسكري الأميركي فإن أفغانستان سوف ترتد على الأرجح إلى ظروف ما قبل الحرب؛ وسوف تعيد باكستان الحياة إلى الإرهاب الذي ترعاه الدولة ضد الهند؛ وسوف يمتد التطرف إلى الولاية الهندية جامو وكشمير.

ومن أجل تحقيق أعظم قدر ممكن من الاستفادة من الوضع القاتم، فيتعين على الهند أن تكون مستعدة لحماية مصالحها الخاصة أياً كان الثمن. وفي ظل الجهود التي تبذلها الولايات المتحدة لتخليص نفسها من مستنقع أفغانستان في نهاية المطاف، فإن مصالحها الوطنية سوف تظل هي الغالبة على الاعتبارات الأخرى كافة، ولكن الصين وباكستان وإيران لديها أيضاً مصالحها الخاصة المهمة المتصلة بأمنها الوطني في أفغانستان والتي من المؤكد أن كلاً منها سوف تبذل قصارى جهدها لضمانها. لذا، فرغم أن قوات الولايات المتحدة ربما ترحل عن أفغانستان، فإن وضع حد لأعمال العنف المتولدة عن الحرب التي تخوضها أميركا يظل مجرد حلم بعيد المنال، خصوصاً بالنسبة لجيران أفغانستان في جنوب آسيا.

* شغل عدة مناصب وزارية في الهند سابقا، فكان وزيراً للمالية والخارجية والدفاع. وهو مؤلف كتاب "جناح: الهند. التقسيم. الاستقلال".
«بروجيكت سنديكيت» بالاتفاق مع «الجريدة»

تجاهُل الجاهل

هنري ميلر *

PROJECT SYNDICATE
AN ASSOCIATION OF NEWSPAPERS AROUND THE WORLD

إن الناس لديهم الحق في أن يكونوا جاهلين، فتماماً كما نستطيع أن نختار إلحاق الضرر بصحتنا بالإفراط في تناول الطعام، وتدخين السجائر، وإهمال تناول الأدوية الموصوفة، فبوسعنا أيضاً أن نختار البقاء جاهلين بكل ما يتصل بقضايا السياسة العامة.

ولعل الجهل يكون منطقياً في بعض الأحيان، فوفقاً لخبراء الاقتصاد، يأتي دور "الجهل المتعقل" عندما تصبح تكاليف اكتساب القدر الكافي من الفهم لقضية ما من أجل اتخاذ قرار مستنير في ما يتعلق بها أعظم من الفوائد التي قد يتوقع المرء أن يجنيها من القيام بذلك. فعلى سبيل المثال، سنجد أن العديد من المشغولين بالأسرة والمدرسة والعمل والرهن العقاري قد يرون أنه من غير المجدي من حيث التكاليف التمحيص والاختيار من بين كتلة كبيرة من البيانات غير المتناسقة غالباً من أجل التوصل إلى فهم واضح، على سبيل المثال، للمخاطر والفوائد المترتبة على استخدام الطاقة النووية، أو اللدائن في تصنيع لعب الأطفال، أو اتباع النظام الغذائي المستخدم في منطقة البحر الأبيض المتوسط.

إن الطوفان من البيانات المتضاربة المتعلقة بالتكاليف والفوائد المترتبة على استخدام أطعمة مختلفة يجسد التحدي التأصل في اتخاذ قرارات مستنيرة. في دراسة حديثة، وجد جوناثان شوينفيلد وجون أيوانيديس أنه على الرغم من الصخب الإعلامي فإن المزاعم "العلمية" بأن أنواعاً عديدة من الأطعمة تسبب الإصابة بالسرطان أو تحمي من الإصابة به كثيراً ما لا تكون مدعومة بتحليل النتائج (تحليل النتائج المجمعة من دراسات متعددة). وعلى حد تعبير ايوانيديس فإن "الناس يشعرون بالخوف أو ربما يتصورون أنهم لابد أن يغيروا حياتهم وأن يتخذوا قرارات كبيرة، ولكن سرعان ما يتم تفنيد المزاعم الجديدة".

ومن المرجح أن يميل الناس إلى ممارسة حقهم في الجهل- سواء المتعقل أو غير المتعقل- بشكل خاص عندما يتعلق الأمر بقضايا العلوم والتكنولوجيا. في دراسة أجريت في عام 2001 برعاية مؤسسة العلوم الوطنية في الولايات المتحدة تبين أن ما يقرب من نصف الأشخاص الذين شملتهم الدراسة يفهمون أن الأرض تدور حول الشمس مرة واحدة في كل سنة، وأن 45% منهم يمكنهم تقديم "تعريف مقبول" للحمض النووي، وأن 22% فقط منهم يفهمون ما هو الجزيء.

في عام 1995، أعرب عالم الكون كارل ساغان عن قلقه إزاء الاتجاه نحو مجتمع حيث "نلجأ إلى كرة بلورية لنستطلع الأبراج دينياً، فتنحدر ملكاتنا العقلية النقدية بشكل حاد... وننزلق دون أن نلحظ تقريباً إلى الخرافات والظلام". وفي وقت أقرب، حذر المفكر البريطاني ديك تافرين من أنه "في ممارسة الطب، والأساليب الشعبية في التعامل مع الزراعة والغذاء، والسياسات الرامية إلى الحد من الفقر والمرض، والعديد من القضايا العملية الأخرى، هناك اتجاه مستتر من اللاعقلانية التي تهدد التقدم الذي يعتمد على العلم، بل حتى الأساس الحضاري لديمقراطيتنا".

والواقع أنه في حين يحق للناس أن يعتقدوا في استطلاع الأبراج، فإن الثقة بقدرة مثل هذه الأمور على جلب الحظ الطيب أو اليقين في طب الدجالين، فإن مثل هذه "العلوم التافهة الرخيصة" تتحول إلى تهديد خطير للمجتمع عندما يُسمَح لها بالتأثير في السياسة العامة. ولنتأمل هنا على سبيل المثال الاستجابة من بعض الناشطين العام الماضي في كي ويست بولاية فلوريدا إزاء الجهود الرامية إلى وقف انتشار حمى الضنك، المرض الخطير الذي قد يهدد الحياة والذي عاد إلى الظهور في المنطقة في عام 2009 بعد غياب دام أكثر من سبعين عاماً.

باستخدام تقنيات الهندسة الوراثية، نجحت شركة "أوكسيتيك" البريطانية في إنتاج أصناف جديدة من أنواع البعوض التي تنقل حمى الضنك. وتحتوي البعوضة الجديدة على جين ينتج مستويات عالية من بروتين يعمل على منع خلاياها من العمل بشكل طبيعي، فيقتلها في نهاية المطاف. وطالما يتم تغذية ذكور البعوض المعدلة وفقاً لنظام غذائي خاص، فإن البروتين لا يؤثر فيها.

وعندما يتم إطلاقها إلى البيئة فإنها تظل على قيد الحياة فترة كافية للتزاوج مع الإناث البرية، فتمرر إليها الجين المنتج للبروتين، الذي يقتل نسلها قبل أن يصل إلى مرحلة النضوج، فيؤدي هذا إلى القضاء على هذا النوع من البعوض بعد بضعة أجيال.

بعد تلقي الموافقات اللازمة، عملت شركة "أوكسيتيك" مع العلماء المحليين على إطلاق البعوض المعدل في جزر كايمان في منطقة جوازيرو في البرازيل. ووفقاً للروايات المنشورة عن هذا البحث التجريبي، فإن هذا النهج كان فعّالاً للغاية، حيث نجح في تقليص أعداد البعوض المصاب بنسبة 80% في جزر كايمان وبنسبة 90% في البرازيل. وتنتظر الشركة الحصول على الموافقة من وزارة الصحة في البرازيل لتنفيذ هذا النهج كسياسة للسيطرة على حمى الضنك.

ورغم أن الإطلاق المماثل في فلوريدا قد يستغرق بضع سنوات، فإن بعض السكان المحليين أظهروا ردود أفعال قوية، فقد جمعت إحدى الناشطات مئة ألف توقيع على طلب يعارض استخدام البعوض في جهود المكافحة، ولكن مخاوفها- "ماذا لو لسعت هذه البعوضات أولادي أو كلابي؟ وكيف قد تؤثر في النظام البيئي؟"- لا تستند إلى أساس علمي، وبالتالي فهي تعكس جهلاً طوعياً، فبقليل من البحث، كانت تكتشف أن ذكور البعوض لا تلسع، وأن البعوضات المطلقة في البيئة (الذكور) تموت في غياب النظام الغذائي المكمل المخصص لها.

والواقع أن الإطلاق التجريبي لم يكشف عن أي تأثيرات سلبية من أي نوع، ولكن تقديم الحقائق بطريقة معقولة، كما حاولت سلطات مكافحة البعوض في فلوريدا أن تفعل، لم يكن كافياً لتغيير رأي المعارضين. ومن المؤسف أن أولئك الذين يختارون الجهل محصنين ضد العقل، أو يختارون تجاهل العقل ببساطة. ولكن لماذا يخشى العديد من الناس الكثير من الأمور؟ يحدد عالِم الأمراض المتخصص في السرطان جيفري كابات عوامل عدة، بما في ذلك "نجاح الحركة البيئية؛ وانعدام الثقة العميق في الصناعة؛ وشهية الجماهير النهمة للقصص المرتبطة بالصحة، والتي تغذيها وسائل الإعلام على نحو واضح؛ والتوسع المذهل لمجالات علم الأوبئة وعلوم الصحة البيئية والأبحاث المتنامية المرتبطة بها".

بعيداً عن البواعث أو الدوافع، فإن الناس لديها الحق في اختيار الجهل، ولكن السماح لهذا الاختيار بدفع السياسة العامة يشكل تهديداً خطيراً للتطور العلمي والاجتماعي والاقتصادي.

* طبيب وزميل الفلسفة العلمية والسياسة العامة في "معهد هووفر" بجامعة ستانفورد،
«بروجيكت سنديكيت-معهد العلوم الإنسانية» بالاتفاق مع «الجريدة»